الإمام عبد القادر الجيلاني وشعره من منظور إسلامي

مجاهد مصطفى بهجت*

مقدمة

هذه دراسة لشعر علم بارز في تراثنا العريق في ميدان التصوف، وهو الشيخ الجيلاني المتوفى سنة 561هـ، للكشف عن قيمة شعره الموضوعية والفنية من المنظور الإسلامي. وقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين:

الأول عن حياته حيث عرفت به اسماً ونسباً وأسرة، وعرضت لنشأته وصفاته، وعقيدته وأحواله ومواقف العلماء منه. ثم ذكرتُ أبرز شيوخه وتلاميذه، وآثاره ومؤلفاته، ومن ألف في مناقبه، وأوردت نماذج من المأثور من أقواله.

أما الثاني فعن شعره، حيث استعرضتُ أبرز موضوعاته الشعرية التي جاءت متصلة بسلوكه وأحواله في قصائده العشر. وأبرز هذه المعاني: فرط المحبة، وفيضان الوجد، والنشوة بكأس المحبة، وبلوغ درجة القطبية، ويصل في درجة الإدلال إلى الذروة حيث يرى نفسه سر الأسرار وشيخ الورى، والأرض في قبضته، وهو المغيث للمريد شرقاً وغربا.

---

* أستاذ بكلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية.

وتنفرد أطول قصائده (الأسماء الحسنى) بغياب نغمات الإدلال، والاعتماد على التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى طالباً الرحمة والأمن والعز والحماية. وفي دراسة تائيته (الوسيلة) عرفت بمضمونها مستخلصاً أبرز محاورها، محللاً ذلك من المنظور الإسلامي، ثم انتقلت إلى دراسة خصائصه الشعرية العامة التي يشترك فيها مع أكثر شعراء التصوف، والخاصة التي انفرد بها.

وأشرت إلى تحقيق عنصري التجربة الشعرية والوحدة العنصرية في شعره فضلاً عن ظاهرة الصبغ البديع، والاقتباس والتضمين لآي القرآن الكريم. ونبهت خلال ذلك على أبرز الاختلافات والفروق بين الجيلاني والغزالي في الخصائص الفنية، وبعد:

فهذه دراسة أدبية، ومحاولة أولية للوقوف على شعر الإمام الجيلاني، وبيان بعض خصائصه الفنية راجياً من الله أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة للكشف عن معانيه من المنظور الإسلامي.

حياته[1]

اسمه ونسبه وأسرته

هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست محيي الدين

---

[1] راجع ترجمته في: السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى [ت562هـ]، **الأنساب** (بيروت: دار الجنان، 1988م)، ج2، ص146؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى [ت597 هـ]، **المنتظم**، تحقيق محمود مصطفى عبد القادر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م)، ج10، ص219؛ ابن الاثير، أبو الحسن عز الدين علي بن ربى الكرم [ت630هـ]، **الكامل** (بيروت: دار الفكر، 1979م)، ج11، ص323–310؛ سبط ابن الجوزي، يوسف بن عبد الرحمن [ت654هـ]، **مرآة الزمان** (حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1951م)، ج8، ص264–266؛ عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن علي [ت732هـ]، **تاريخ أبي الفدا**، تحقيق محمود أيوب (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ج2، ص118؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز [ت748هـ]، **سير أعلام النبلاء** (بيروت: دار الرسالة، د. ت)، ج20، ص439–451؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، 1996م)، ص86–100؛ الذهبي، **العبر**، تحقيق أبو هاجر محمد سعيد بسيوني (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، ج3، ص36؛ انتقاء ابن=

الجيلاني[1] الحنبلي، سبط أبي عبد الله الصومعي من مشايخ جيلان. وأمّه أم الخير بنت أبي عبد الله، وعمته الصالحة أم عائشة، استسقى بها أهل جيلان فلم يسقوا، ثم دعت فمطروا كأفواه القرَب. وله أخ أصغر منه سنًّا هو أبو أحمد عبد الله مات شاباً، ونشأ في العلم والخير.

ولد عبد القادر في جيلان (وراء طبرستان) سنة471هـ، وقدم بغداد شاباً سنة 488هـ، ذكر ابنه عبد الرزاق أن لوالده تسعة وأربعين ولداً، منهم سبعة وعشرون ذكراً والباقي إناث. وبلغ تسعين سنة حين توفي سنة561هـ.

نشأته وصفاته

حفظ القرآن، وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، واتصل بشيوخ العلم والتصوف، وسمع الحديث وأخذ الأدب.

بنى شيخه أبو سعيد المخرمي مدرسة وفوَّضها إليه، فأكمل بناءها، ووعظ الناس فيها، فانتفعوا كثيراً، وبرع في أساليب الوعظ حتى عقد له المجلس سنة 521هـ، وتَصدّر

=الدمياطي ت749هـ، **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م)، ص127-128؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله [ت764هـ]، **الوافي بالوفيات**، باعتناء رضوان السيد (شتوتكارت: فرانز شتايز، 1993م)، ج19، ص38؛ الكتبي، محمد بن شاكر [ت764هـ]، **فوات الوفيات**، تحقيق د. إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة)، ج2، ص373-374؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان [ت768هـ]، **مرآة الجنان** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، ج 33، ص262-275؛ ابن كثير، إسماعيل أبو الفداء ت774هـ، **البداية والنهاية** (بيروت: دار المعارف، 1966م)، ج12، ص270؛ أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين ت795هـ، **ذيل طبقات الحنابلة** (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج1، ص290-301؛ ابن تغري بردي، يوسف ت874هـ، **النجوم الزاهرة** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992 م)، وبهامشه الأنوار القدسية ج5، ص353؛ الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد [ت973هـ]، **الطبقات الكبرى** (مصر: طبعة عبد الحميد أحمد، د.ت)، ج1، ص108؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد [ت1089هـ]، **شذرات الذهب**، تحقيق مصطفى عبد القادر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م)، ج4، ص378-381؛ الشبلنجي، مؤمن بن حسن [ت1308هـ]، **نور الأبصار** (القاهرة: مصطفى محمد مصطفى، 1334هـ)، ص224.

[1] ويقال أحياناً الكيلاني أو الجيلي نسبة للمكان الذي ولد فيه.

للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528هـ، وكان يأكل من عمل يده.

ومن أخباره في مرحلة نشأته وطلبه العلم ما حدث به عن نفسه أنه قال:

"كنت أقتات الخرنوب والشوك وقامة البقل، وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت بي الضائقة في غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياماً لم آكل فيها طعاماً، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها، فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس أو البقل أو غير ذلك، فأتقوت به، فما ذهبت إلى موضع إلاّ وغيري قد سبقني إليه، وإذا وجدت الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياءً، فرجعت أمشي وسط البلد فلا أدرك منبوذاً إلاّ وقد سبقت إليه، حتى وصلت إلى مسجد بسوق الرياحين ببغداد، وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك، فدخلت إليه وقعدت في جانب منه، وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز رصافي وشواء، وجلس يأكل، فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فيّ من شدة الجوع، حتى أنكرت ذلك على نفسي وقلت: ما هذا! إذ التفت إليّ العجمي فرآني، فقال: باسم الله يا أخي فأبيت، فأقسم عليَّ، فبادرت نفسي فخالفتها، وأقسم أيضاً فأجبته فأكلت، فأخذ يسائلني من أين أنت وبمن تُعرف؟ فقلت: أنا متفقه من جيلان فقال: وأنا من جيلان، فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر يعرف بأبي عبد الله الصومعي الزاهد؟ فقلت: أنا هو، فاضطرب وتغيّر وجهه، وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحد، ونفدت نفقتي، ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلاّ مما كان لك معي، وقد حلت لي الميتة، وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً، فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي، فقلت له: وما ذاك؟ فقال: أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير، فاشتريت منها هذا للاضطرار وأنا معتذر إليك. فسكنته وطيبت نفسه، ودفعت

إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرفا.[1]

ثم لازم الخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة، قال عن نفسه: "وكنت أشتغل بالعلم فيطرقني الحال فأخرج إلى الصحارى ليلاً أو نهاراً وأصرخ وأهجّ على وجهي، فصرخت ليلة فسمعني العيارون ففزعوا، فجاءوا فعرفوني، فقالوا: عبد القادر المجنون أفزعتنا، وكان ربما يغشى عليَّ فيلفوني ويحسبون أني مت من الحال التي تطرقني، وربما أردت الخروج من بغداد فيقال لي: ارجع فإن للناس فيك منفعة".[2]

وذكر عن نفسه قال: "كان يجلس عندي رجلان وثلاثة، ثم تسامع الناس بي، وازدحم عليّ الخلق، حتى صار يحضر مجلسي نحو من سبعين ألفاً، وقال للجُبّائي: "أتمنى أن أكون في الصحارى والبراري كما كنت في الأول لا أرى الخلق ولا يروني، ثم قال: أراد الله مني منفعة الخلق فقد أسلم على يديّ أكثر من خمسمائة، وتاب على يديّ أكثر من مئة ألف، وهذا خير كثير".[3]

ورد في صفته أنّه: "كان نحيف الجسم، عريض الصدر، عريض اللحية، أسمر، مدور الحاجبين، ذا صوت جهوري وسمت بهي..".[4]

واتصف بالجود والسخاء قال: "فتشت الأعمال كلها، فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع، كفي مثقوبة لا تضبط شيئاً لو جاءني ألف دينار لم أبيتها"،[5] وكان من أخلاقه أن يقف مع الصغير والجارية، ويجالس الفقير، وكان لا يقوم لأحد من العظماء ولا أعيان الدولة، ولا ألم قط بباب وزير ولا سلطان.[6]

---

[1] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص444، **شذرات الذهب**، ج4، ص380-381.

[2] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص378.

[3] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص447.

[4] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص378.

[5] الذهبي، **سير أعلام النبلاء، ج**20، ص447، ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص379.

[6] الشعراني، **الطبقات الكبرى**، ج1، ص110.

عقيدته وأحواله

كان حنبلي المذهب، واعتقاده اعتقاد السلف الصالح والصحابة، قال ابن رجب: "كان الشيخ عبد القادر متمسكاً في مسائل الصفات والقدر ونحوها بالسنة، مبالغاً في الرد على من خالفها"،[1] وقد طلب العلم والفقه قبل الطريقة الصوفية، ودربه شيخه حماد الدباس على ذلك، يقول الجيلاني: "وكان الشيخ يؤذيني ويضربني، فطمع فيّ أصحابه وقالوا: أنت فقيه، أيش تعمل معنا؟ فلما رآهم يؤذونني غار لي وقال: "والله ما فيكم مثله، وإنما أؤذيه لأمتحنه، فأراه جبلاً لا يتحرك...".[2]

ومن أخباره -في مجاهداته وعدم خروجه عن العقيدة الصحيحة- ما حدّث به ابنه موسى قال: "سمعت والدي يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماءً فاشتد بي العطش، فأظلتني سحابة ونزل عليَّ منها شيء يشبه الندى فرويت، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك وقد حللت لك المحرمات، أو قال: ما حرمت على غيرك، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بحكم ربك وقوتك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت: لربي الفضل والمنة. قال: فقيل له: كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله: قد حللت لك المحرمات".[3]

وهكذا جاءت نصيحته حين أراد الجُبائي التصوف والعبادة بضرورة التفقه أولاً، يقول الجُبائي: "اشتهيت لو انقطعت، واشتغل بالعبادة، ومضيت فصليت خلف الشيخ عبدالقادر، فلما جلسنا نظر إليّ وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه

---

[1] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص380.

[2] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص446.

[3] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص379-380.

وتجالس الشيوخ وتتأدب، وإلاّ فتنقطعُ وأنت فريخ ما ريشت".[1]

قال عنه اليافعي: "ما كان يخرج من مدرسته إلا يوم الجمعة أو إلى الرباط، وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم خلق، وكان يصدع بالحق على المنبر، وكان له كرامات ظاهرة".[2]

مواقف العلماء منه

عدّه العلماء: الشيخ الإمام، العالم الزاهد، العارف القدوة، شيخ الإسلام علم الأولياء.

قال ابن رجب: "ظهر الشيخ عبد القادر للناس... وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا به، وبكلامه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته، ومكاشفاته، وهابه الملوك فمن دونهم، لقب بمجمع الفريقين وموضع الطريقين، وكريم الجدين ومعلم العراقين".[3]

وقال ابن السمعاني: "هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديّن خيّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة".[4]

وقال اليونيني: سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: "ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلاّ الشيخ عبد القادر".[5]

وقال موفق الدين بن قدامة: "لم أسمع من أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس للدين أكثر منه".[6]

---

[1] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص448.

[2] اليافعي، **مرآة الجنان**، ج3، ص265 والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص449.

[3] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص379.

[4] المصدر نفسه.

[5] المصدر نفسه.

[6] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص442.

وذكر عنه ابن الأثير أنه: "كان من الصلاح على حالة كبيرة".[1]

ويقول عنه الذهبي: "ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثيراً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة، ثم يقول: "وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه".[2] ويجله ويعظمه اليافعي فيترجم له مفصلاً في **مرآة الجنان**، ويذكره في نشر المحاسن الغالية، ويفرد في مناقبه كتاباً سماه خلاصة المفاخر يقول عنه: "قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام، ركن الشريعة وعلم الطريقة، وموضح أسرار الحقيقة، شيخ الشيوخ وقدوة الأولياء العارفين الأكابر.[3]

شيوخه وتلاميذه

من أبرز شيوخه[4] في الفقه أبو سعيد المخرمي،[5] وأبو الوفاء بن عقيل، وأبو الخطاب، وأبو الحسين محمد بن القاضي، "وسمع بنسف أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد البلدي".[6]

وسمع من أبي غالب الباقلاني، وأحمد بن المظفر بن سوس، وأبي القاسم بن بيان، وجعفر بن أحمد السراج، وأبي سعد بن خشيش، وأبي طالب اليوسفي، وأبي القاسم علي الرزاز.

أخذ الأدب وقرأه على أبي زكريا التبريزي، وأخذ الطريق عن شيخه أحمد الدّباس.

---

[1] ابن الأثير، **الكامل**، ج11، ص323.

[2] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص450-451.

[3] اليافعي، **مرآة الجنان**، ج3، ص262.

[4] راجع الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص443-444، وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص378.

[5] راجع ترجمته في **طبقات الحنابلة**، ج2، ص258، الذهبي، **العبر**، ج14، ص31، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 19، ص428.

[6] ابن تغري، **النجوم الزاهرة**، ج2، ص146.

أما تلاميذه[1] فقد تتلمذ له أكثرالفقهاء في زمانه. وممن حدث عنه: السمعاني، وعمر بن علي القرشي، والحافظ عبدالغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، وولداه عبد الرزاق وموسى، والشيخ علي بن إدريس، وأحمد بن مطيع الباجسرائي، وأبو هريرة محمد بن ليث الوسطاني، وأكمل بن مسعود الهاشمي، وأبو طالب عبد اللطيف ابن محمد القبيطي، وروى عنه بالإجازة الرشيد أحمد بن سلمة وصحبه الشيخ السهروردي،[2] ويذكر السمعاني أنه قرأ عليه كتاب أخبار مكة للأزرقي، وبعض جزء من كتاب الجامع الصحيح لأبي حفص البيجري.[3]

آثاره ومناقبه

من أبرز مؤلفاته المنشورة ما يأتي:

- الغنية لطالبي طريق الحق: تحقيق فرج توفيق الوليد، ط مكتبة الشرق الجديد، بغداد 1988م.
- الفتح الرباني والفيض الرحماني: تحقيق أنس مهرة ط دار الكتب العلمية، بيروت 1998، وهو في اثنين وستين مجلساً تتضمن موضوعات في العقيدة والأخلاق،[4] وذكر الآخرة وذم الدنيا.[5]
- فتوح الغيب ط البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

---

[1] راجع الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص440، الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ص87، الصفدي، **الوافي**، ج19، ص428.

[2] راجع ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3، ص446.

[3] راجع السمعاني، **الأنساب**، ج2، ص146.

[4] راجع **الفتح الرباني**، في **العقيدة** المجلس ص11 و16 و19، وفي **الأخلاق** المجلس: 7 و42 و48 مثلاً، تحقيق أنس مهرة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م).

[5] راجع في ذلك المجلس: 13 و54، و25 و51.

ومن أبرز ما ألّف في مناقبه[1]:

- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطفوني (ت713هـ) ط دار الكتب العربية، القاهرة 1330هـ.
- خلاصة المفاخر في اختصار مناقب الشيخ عبد القادر لليافعي (ت768هـ)خ.
- قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للتادفي (ت963هـ) ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند1951م.

من أقواله

ما وصل إلينا من نثر الشيخ الجيلاني أكثر من شعره، وشطر ديوانه مقالاته الرمزية التسع، وتذكر له كتب مناقبه وتراجمه: المأثور من أقواله وحكمه، فمن ذلك أنه كان يقول: "الدنيا أشغال والآخرة أهوال، والعبد فيما بين الأشغال حتى يستقر قراره إما إلى جنة وإما إلى نار"، ويقول: "الأولياء عرائس الله، لا يطلع عليهم إلاّ ذام مجرم"، ويقول: "الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك".[2]

ومما أورد له الشعراني أنه كان يقول: "يارب كيف أهدي إليك روحي وقد صح بالبرهان أن الكل لك"، وسئل عن الدنيا فقال: "أخرجها من قلبك إلى يدك فإنها لا تضرك".[3]

---

[1] ذكر له د. يوسف زيدان 28 عنواناً في مناقبه راجع زيدان، يوسف محمد طه، **عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب** (بيروت: دار الجيل، 1991م)، ص104-108، وذكر له د. عبد الرزاق الكيلاني71 عنواناً مما ألف عنه، راجع الكيلاني، عبد الرزاق، **الشيخ عبد القادر الجيلاني: الإمام الزاهد والقدوة** (دمشق: دار القلم، 1994م)، ص305-316.

[2] راجع في أقواله: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ص100، الدمياطي، **المستفاد**، ص127، الكتبي، **فوات الوفيات**، ج2، ص374، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج19، ص40، ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص379.

[3] راجع في الشعراني، **الطبقات الكبرى**، ج1، ص109.

نظرة عامة في خصائص شعر الجيلاني وموضوعاته

يعد الجيلاني من الشعراء المقلين،[1] فجموع شعره عشرة نصوص في 270 بيتاً،[2] وهي قصائد أقلها في عشرة أبيات، وأطولها في 63 بيتاً، ثم في 48 و39 و31 و21 بيتاً، والنصوص الأربعة الباقية بين 19–11 بيتاً.

وموضوعات شعره وثيقة الصلة بصوفيته (طريقته وأحواله وسلوكه)، وهو أكثر تعمقاً وتعقيداً من معاني شعر الإمام الغزالي، وأقرب صلة وأوثق بما عرف به الحلاج في استخدام الرموز من الغزالي، وتكاد تتفق قصائده العشرة –على تفاوت عدد أبياتها– في موضوعاتها ومعانيها.

ويخلو ديوانه من موضوعات الأغراض التقليدية في المدح والهجاء والغزل والرثاء، مما وجدناه قليلاً في شعر الغزالي، ولا نجد له في شعره مطولة كتائية الغزالي (366 بيتاً)، وتائية ابن الفارض (760 بيتاً). لكن أطول قصائده في الأسماء الحسنى مماثل لهائية الإمام الغزالي في النفس الإنسانية في طولها وهو 63 بيتاً، وقد جاءت على قافية اللام، أما تائية الشيخ الجيلاني (الوسيلة) فهي في 47 بيتاً وهي ثاني أطول قصيدة في الديوان. وفيها يعبر عن فرط المحبة وفيضان الوجد وتحفل القصيدة بالرموز الصوفية، كالخمر والحان والكأس للإشارة إلى معانيه الذوقية. ومطلعها قوله:

ولمـــا صفا قلبي وطابت سريرتي ونـــادمني صحوي بفتح البصيرة[3]

وفي مثل معاني القصيدة جاءت القصيدة الأخيرة (على الأولياء)، وهي نونية من

---

[1] جمع شعره ونشره أحد المحدثين وهو: د. يوسف زيدان وسماه: "ديوان القصائد الصوفية والمقالات الرمزية ط دار الأخبار، القاهرة سنة 1990 في 318 صفحة معتمداً على عشرة أصول مخطوطة وسبعة مطبوعة (راجع ص41–50).

[2] يذكر المحقق في مقدمة الديوان ص21 أن نصوصه تسعة في 258، ولعل الدراسة كتبت قبل استواء الديوان واكتماله.

[3] الجيلاني، عبد القادر، **ديوان عبدالقادر الجيلاني، القصائد الصوفية والمقالات الرمزية**، تحقيق د. يوسف زيدان (القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، 1990م)، ص83

بحر الطويل في 19 بيتاً ومطلعها:

على الأوليا ألقيت سري وبرهاني فهاموا به من سر سري وأعلاني[1]

أما القصيدة الأولى (ما في الصبابة) فهي بائية من بحر الكامل في 12 بيتاً ومطلعها قوله:

مـــا في الصَّبابةِ منهل مستعذب إلاّ ولي فـــيه الألـــذ الأطـــيبُ[2]

وفيها يجعل محبته الألذ والأطيب، والمترلة القريبة في وصاله، وقد وهبته الأيام ما لم تهب غيره، فصار مخطوباً لكل كريمة –وهي درجة القطبية– وتخلق بالأخلاق الربانية ظاهراً وباطناً، ثم يصور شجاعته فهو لا يرهب الزمان، وله رتبة المجد والموكب بكل جيش، وهو بلبل الأفراح والباز الأشهب، وجيوش الحب تحت مشيئته، ولا أمل ولا أمنية له في الدنيا، ولا يترقب موعوداً، ويختمها بذكر درجة الرضا (المكانة العلمية)، وهو الطراز المذهب في حلّة الزمان وشمسه لا تغرب إن غربت شموس الأولين.

أما **القصيدة الثانية** فهي التائية وستأتي لاحقاً دراستها موضوعياً وفنياً.

أما **القصيدة الثالثة** (الشريفة) فهي تائية تلتقي بالقصيدة السابقة (الوسيلة) في وزنها وقافيتها ومضمونها، وتقع في 21 بيتاً، ومطلعها:

نظرت بعين الفكر في حان حضرتي حبيـــباً تجلـــى للقلوب فحنتِ[3]

أما **القصيدة الرابعة** (سقاني حبيبي) فدالية من بحر الطويل في 11 بيتاً ومطلعها قوله:

سقاني حبيبي من شراب ذوي المجد فأسكرني حقاً فغبت على وجدي[4]

---

[1] المصدر نفسه ص173.

[2] الصبابة في هامش المحقق: الشوق وحرارته، ورقة الهوى (**اللسان**، ج2، ص401)، ولعل المعنى ينسجم مع الصبابة وهي بقية الكأس، والمعنى يتفق مع معنى البيت الخامس من القصيدة التائية (الوسيلة). **ديوان عبدالقادر الجيلاني**، ص77. المرجع السابق

[3] المصدر نفسه، ص103.

[4] المصدر نفسه، ص119.

وهي من الشعر الخمري الرقيق، يحكي فيها أحواله بعد نشوته بكأس المحبة الإلهية، وفي حالة السكر يفيق من غفلة الحياة ويصل إلى الحضرة، ويحقق القطبية، والعشاق يشربون بقيته ومن فضل كاساته، ولو شربوا مثله لأمسوا سكارى قبل المدام، ثم يبدأ بلغة الدل والفخر مثل القصائد السابقة فيرى نفسه البدر والبحر المحيط، والعلم الحاوي ما قبله وما بعده، والسر الخاص، ويدعو لمدحه، وللمادح الأمن دنيا وآخرة، وإذا أراد العزة، فعليه بحبه وحفظ عهده.

أما **القصيدة الخامسة** (الأسماء الحسنى) -أطول قصائده-، فيعدها المحقق من شعر المرحلة المبكرة لعدم وجود نَغَمات الإدلال الظاهر، لكنها لا تخلو من أفكار الصوفية كـــ"قيام الوجود بمحمد ﷺ"، وتكتمل بها نظرية القطبية ومطلعها قوله:

شـــرعت بتوحيد الإله مبسملاً ســـأختم بالذكر الحميد مجملاً[1]

وفيها يتوسل بأسماء الله الحسنى، فيبدؤها بذكر الله كما يختم به كذلك، ويذكر مضمون الشهادتين منزهاً الله عن الصفات، وقيام الوجود بالرسول وإن خلا من جسمه ﷺ المعلم للأخلاق.

ثم يدعو طالب العز والكنز والرفعة أن يدعو الله بأسمائه العلى، ليطلب الرحمة من الرحمن، والتسليم من السلام، والأمن من المؤمن، والستر الجميل من المهيمن، والعز والحماية من العزيز، والنجاة من العدو المتكبر، وفيض النعمة من المنعم المصور، والتوبة من..، وقهر الشيطان..، والعلم والحكمة..، والفتح من الفتاح، وقبض المعاند.. وخفض قدر المنافق.. ورفع روحه.. والعز.. والذل.. وإصلاح حاله.

ومن الأسماء والصفات التي يذكرها: الحليم والعظيم والغفور والشكور والعلي الكبير حيث يسأله العلم والمغفرة، وهو الحفيظ والمقيت.. ويدعوه للاستجابة لمن دعاه بالجود، ويمضي في ذكر أسماء الله وصفاته بقرابة أكثر من خمسين اسماً أخرى منها

[1] المصدر نفسه، ص125.

الحكيم والودود والمجيد، والباعث، والمبديء..، والمحي.. والحي.. والواحد.. والقادر.. والمقدم.. والأول.. والظاهر.. والعطوف.. والغني.. والضار.. والستار، ويختمها بثمانية أبيات مبتهلاً إلى الله تعالى لكفايته من صروف الدهر، وشفائه من داء نفسه وهدايته للخير وصلاح عقله.. داعياً بالرحمة لوالده وإخوته ولنفسه، وأخيراً يذكر اسمه: الحسني عبد القادر، مُصلياً على الرسول ومسلماً وحامداً الله تعالى.

أما **القصيدة السادسة**[1] (رفع الحجب) فلامية من الخفيف في عشرة أبيات، وهي أقصر القصائد، تتميز بالناحية الذوقية، وهي من أرق أشعاره للوجد الذي يفعم قلب العاشق عند ارتشاف كأس المحبة وأولها:

رفــع الحجب عن بدور الجمال مــرحباً مــرحباً بأهــل الجمال

يستهلها برفع الحجب عن بدور الجمال الرباني، وأنه تعالى رضي عنه فساد بين الموالي، وعامله بلطف فحلا حاله في بصائر الناس، وفرّحه بصرف الراح، وتربى في حجور الدلال، وقد رحمه فأنعم عليه بالوصال، ولو صَدَّ فَنِيَ وجوده، وهو إن ضل يهديه، لأنه عزيز وغالٍ وليس له حبيب سواه، وأخيراً يسأل السقاة ترويق الكأس وإدارتها بين الندامى لأنهم سكرى بحاله.

أما **القصيدة السابعة**:[2] الخمرية (الغوثية) فلامية من الوافر في 39 بيتاً ومطلعها:

ســقاني الحب كاسات الوصال فقلــت لخمــرتي نحــوي تعالي

وعرفت عند الخواص بالاسم الأول بالخمرية وبالاسم الآخر بالغوثية عند العوام، وللقصيدة مكانة رفيعة لما يجعلونه في قراءتها من خواص وفوائد لا تحصى.

ومضمونها يتفق مع معاني قصائده السابقة، فمطلعها خمري كالقصيدة الرابعة، وقد هام بسكرته بين مواليه ودعا جميع الأقطاب إلى حانه ليشربوا ويهيموا، وتعلو لغة الإدلال فيها كالقصيدة الثامنة حيث يرى مقامه فوق مقام الآخرين، وله وحده

---

[1] الجيلاني، **ديوان عبدالقادر الجيلاني**، ص143.

[2] المصدر نفسه، ص147.

التصرف وهو البازي صار قطباً ونال السعد، وكسي خلعة العز وتوج بالكمال واطلع على السر القديم وأعطي سؤاله فتولى على الأقطاب جميعاً فحكمه نافذ، ولو ألقى سره على النار لذابت، أو على ميت لقام وسعى بإذن الله، أو على الجبال أو البحار لدكت وغارت. والزمان والمكان يخبرانه بما يحدث، وطبوله في السماء والأرض دقت، فهو الجيلاني، أعلامه على الجبال وأقدامه على أعناق الرجال، ومقامه في المخدع (موضع ستر القلب عن الأفراد الواصلين).

ثم يذكر رجاله النائلين للحظوة، وليوث الغاب ورهبان الليل، الصائمين، الباكين في الليل، لا يضام نزيلهم ولا يشقى جليسهم، السائحين... ويدعوهم لوصله والأخذ بثأره لأنه قطب الكمال لا مثيل له في الحكم والتصريف، ويدعو مريديه لاطمئنانه وعدم الخوف بل لفعل كل شيء من الغناء والشطح.

أما **القصيدة الثامنة**[1] (طف بحاني) فميمية من الخفيف في واحد وعشرين بيتاً، وفيها يصل أدلال المحب غايته أيضاً حيث يدعو إلى الطواف بحانه، بل لا يرضى في البيت السادس أن يدعى القطب لأن القطب خادمه وغلامه،[2] ويرى نفسه سر الأسرار... وشيخ الورى، يرى العرش وتقوم له الملائكة، وإذا كان القطب يطوف، لكنّ البيت يطوف بخيامه، وقد كشف الحجب والستور واخترقها، وكسي بتاج العز، والأرض في قبضته كفرخ الحمام، وخطوته من المشرق حتى المغرب، يغيث مريده شرقاً وغرباً كسيف القضاء وهو في الحشر شافع له، لكنه في الأبيات الأخيرة يتواضع قليلاً فيرى نفسه قطباً وقدوة للأنام وهو عبدٌ للقادر، وجدّه الرسول الشفيع ﷺ.

---

[1] المصدر نفسه، ص159-.

[2] يعلق المحقق ص160 على المعنى فيراه شطحاً أو صورة السكر الصوفي في ثوب الشعر الفضفاض، وقريب من ذلك كلمات البسطامي والشبلي (راجع **شطحات الصوفية**، ص25)، لكن المحقق يتوقف دون القبول والرفض لأن القبول فتنة، والرفض اعتراض.

وتأتي قصيدتاه الأخيرتان **التاسعة**[1] **والعاشرة**[2] (رفعت على أعلى الورى) نونية من الكامل في 17 بيتاً و(على الأولياء) نونية من الطويل في 19 بيتاً على نسق القصيدة الأخيرة والوتيرة نفسها في مضمونها ومعانيهما.

تائية الجيلاني

لدراسة تائية الجيلاني (الوسيلة) نعرض مضمونها ومعانيها:

يبدؤها بصفاء قلبه، ومنادمة صحوه، وشهادته بأن الله مولى الولاية، وقد سقاه من كؤوس الشراب فأسكره، وصارت ملوك العالم رعيته، والعشاق يشربون بقيته، وقرّبه المولى فجالت خيوله وزفت له الكاسات، ودقت له الرايات في الأرض والسماء حتى صار غوثاً.. يقول:

شـــهدت بـــأن الله مولى الولاية ... وقـــد مَنَّ بالتصريف في كل حالة
ســـقاني إلهـــي من كؤوس شرابه ... فأســـكرني حقّاً فهمتُ بسُكرتي
رفعت على من يدّعي الحب في الورى ... فقـــرّبني المـــولى وفُـــزْتُ بنظرة
وجالت خيولي في الأراضي جميعها ... وزُفَّت لي الكاسات من كل وجهة
ودقت لي الرايات في الأرض والسما ... وأهل السّما والأرض تعلمُ سطوتي
وشـــاءوس ملكي سار شرقاً ومغرباً ... فصرتُ لأهل الكرب غوثاً ورحمة

ثم يتحدى الآخرين بسطوته؟!.. وقد شرب بكأس الغرام حتى انتعشت روحه ومهجته، وصار ساقياً يدير الكأس كرّة بعد كرّة، ووقف بباب الله ونودي للدخول بحضرته حاملاً اللواء، يقول:

وقفـــت بباب الله وحدي مُوحداً ... ونوديتُ يا جيلاني ادخُل لحضرتي
ونوديت يا جيلاني ادخل ولا تخف ... عُطـــيتَ اللّوا من قبل أهل الحقيقة

---

[1] الجيلاني، **ديوان عبدالقادر الجيلاني**، ص167-169.

[2] المصدر نفسه، ص173-177.

ثم يستعرض وجوده مع الأنبياء من قبل (نوح وإبراهيم وإسماعيل، ويعقوب وإدريس وموسى وأيوب وعيسى وداود)، وهو حين يذكرهم ينسب معجزاتهم لنفسه؟!! وما زال في هذا السياق من التعالي والترفع حتى يبلغ الذروة فيقول:

أنـــا الذاكرُ المذكورُ ذكراً لذاكرٍ ... أنا الشّاكرُ المشكورُ شكراً بنعمتي
أنا العاشق المعشوق في كلِّ مضمرٍ ... أنا السامع المسموع في كلِّ نغْمة
أنـــا الـــواحد الفرد الكبير بذاته ... أنا الواصف الموْصوفُ عِلْمَ الطريقةِ
ملكـــت بـــلاد الله شرقاً ومغْرباً ... وإنْ شـــئْتُ أفنيْتُ الأنامَ بِلحْظة

ولولا ما سبق من رسول الله ﷺ لأغلق أبواب جهنم؟!

ثم يخاطب مريده بالبشرى والغوث وهو يحميه في الدنيا ويوم القيامة إن تمسك به.

مريدي لك البشرى تكون على الوفا ... وإنْ كـــنتَ في هـــمّ أغثْك بِهمَّتي
مـــريدي تمسّك بي وكُنْ بي واثقاً ... لأحمـــيك في الدُّنـــيا ويومَ القيامة

ولكنه في آخر القصيدة يوصي بكسر النفوس والتواضع مع الله فيقول:

وأوصيكموا كسْرَ النُّفوس فإنّها ... مـــراتِبُ عـــزٍّ عند أهل الطريقة
ومـــن حدّثـــته نَفْـــسُهُ بتكبّـــر ... تجـــدْهُ صـــغيراً في عيون الأقلّة
ومـــن كان في حالاته متواضعاً ... مـــع الله عـــزّتْه جمـــيعُ البَـــريّة

ويمكن استخلاص أبرز محاور القصيدة فيما يأتي:

1. رفعة شأنه وحريته المطلقة، وملكه وسطوته.
2. علمه الواسع والعميق بكل شيء لأنه في مقام الولاية.
3. قدراته المعجزة لإدراكه معجزات الأنبياء السابقين.
4. وإذا اجتمعت العناصر السابقة تحقق له الذكر والتفرد والتوحد.
5. دعوته لمريديه بالتمسك به وحفظ عهده لإغاثتهم وحمايتهم، وقضاء حوائجهم، ووصيته لهم بالطرق الحميدة والتواضع في كل حالاتهم ليكسبوا العزة مع الخلق جميعاً.

ومعاني القصيدة إن كانت تتفق مع التصور الإسلامي أولاً وأخيراً وفي مستهلها وختامها، فإن الإشكال نجده في المحورين الثاني والثالث بما يضفيه على نفسه من علم ومعرفة بكل شيء: عدد النباتات، والرمل وأمواج البحر وعلم الله وحروفه، ومصدر ذلك مرتبة الولاية التي بلغها فأذن له بما سبق.. والإشكال قائم في فهم ما زعمه من معرفته وقدرته لمعجزات الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كطوفان نوح على كف قدرته، وتبريده نيران إبراهيم، وإفتاؤه بفداء إسماعيل و.. و.. إلخ.

ويقوم على المحورين السابقين الإشكال في المحور الرابع بما افتخر به وتعالى حيث يصف نفسه بالذاكر والمذكور والشاكر المشكور والعاشق المعشوق والسامع المسموع، والواحد الفرد الكبير بذاته، المالك للشرق والغرب القادر على فناء الأنام بلحظة.

ولا يحتمل قبول هذه المعاني على ظاهرها ولا تتفق مع بشريته، وما ادعى ذلك أحدٌ من الأنبياء والمرسلين بله العلماء والصالحين.

وهذا كلّه يتناقض مع آخر القصيدة إذ يدعو أنصاره ومريديه ويوصيهم بالتواضع وعدم التعالي على الخلق إن أرادوا عزة من الخلق.. وكيف يوصي الآخرين وينصحهم بما لا يأخذ به أو يلتزم.. وهل يعجز الشيخ الجيلاني عن كسب الأنصار والمريدين إلاّ بما نسبه وادعاه في المحاور الثلاثة السابقة؟

شاعريته وخصائصه الفنية

ذكر القدماء الذين ترجموا له ما عرف به من النظم والنثر كابن العماد الحنبلي، حيث يقول: "وللجيلاني نظم فائق رائق"،[1] لكن بعضهم وصف كلامه وبعض أقواله بالغموض،[2] ويرى محقق ديوانه أن مقالاته الرمزية تتضمن كلامه الغامض، والحقيقة إن الغموض المتمثل في الرمزية المغرقة واضح في مقالاته الرمزية، لكننا نلمسه كذلك في

[1] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج4، ص199.

[2] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص446.

أكثر قصائده، ولا يمكن قبول معانيها على ظاهرها إذ تجري مجرى كلام الصوفية بمصطلحاتها ورموزها الخاصة...

ومن أجل ذلك نبه القدماء على ذلك، وقد سبق كلام الإمام الذهبي عنه "كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه..".[1]

ويستدل في مقالة الجيلاني عن الحلاج إقراره على ما قال والتماس العذر له، وقبول مقاله في سياق الرمزية، يقول: "طار طائر بعض العارفين من وكر شجرة صورته، وعلا إلى السماء خارقاً صفوف الملائكة.. فلم يجد في السماء ما يحاول من الصيد، فلما لاحت له فريسة: رأيت ربي.. وعاد هابطاً إلى حظيرة حظه الأرضي، فكر فلم يجد في الدارين مطلوباً سوى محبوبه فطرّب فقال بلسان سُكر قلبه: أنا الحق"[2] والكلمة الأخيرة هي التي شطح بها الحلاج وكانت سبب مقتله، وإذا كانت الكلمة تحتمل التأويل لكنها غير مقبولة في السياق العام، يعلق الجيلاني قائلاً: "ترنم بلحن غير معهود من البشر، صفّر في روضة الوجود صفيراً لا يليق ببني آدم، لَحّن صوته لحناً عرضه لحتفه"،[3] فمقاله لا يليق بلغة عصره.. وهو ما عرضه للقتل..

وكأن الجيلاني يعاتبه على ما قال حيث يسأله فيقول: "لم تكلمت بغير لغتك؟ ولم ترنمت بلحن غير معهود من مثلك؟ ادخل الآن في قفص وجودك"[4] ويختم المقالة بقوله: "مناط حفظ الطريق إقامة خدمة الشرع".[5] وليت شعري لَمَ يعاتب الجيلاني الحلاج على لغته ولحنه غير المعهود؟ ويبيح لنفسه ما ورد من المعاني في قصائده عامة وتائيته خاصة؟!

ولا تكمن في القصائد القيمة الأدبية، بل خطورتها في التعبير عن الحقائق الصوفية الدقيقة، ولا يعد الجيلاني عند محقق الديوان من كبار الشعراء لأن قصائده على قوتها

---

[1] المصدر السابق، ج20، ص450.

[2] الجيلاني، **ديوان الجيلاني**، ص270.

[3] المصدر نفسه، ص271.

[4] المصدر نفسه، ص272.

[5] المصدر نفسه، ص272.

في المعاني الصوفية لا تخلو من ضعف في اللغة..[1] والركة والتكلف واضحان في بعض قصائده مما سبق التمثل به..

وتتمثل في شعر الجيلاني الخصائص الفنية العامة لشعر التصوف:

الخاصة الأولى: في كون شعره مقطعات وقصائد قصيرة إذ وجدنا جملة شعره في قصائد قصيرة، وليست له إلا قصيدة واحدة في 63 بيتاً، وأُخرى في 47 بيتاً، وإن كان أكثر شعر التصوف من المقطعات وهو ما كان عليه أكثر شعر الإمام الغزالي إذ لم نجد له في القصيد إلا أربعة نصوص أحدها مطولة في 363 بيتاً، والقصائد الأُخرى في 64 و59 و26 بيتاً، ونصوصه التسعة الباقية من المقطعات.

وعلى هذا النحو جاءت أشعار أهل التصوف كالحلاج (ت309هـ) فليس له في القصيد إلا خمسة نصوص أطولها في 34 بيتاً، وسائر شعره -أكثر من مائة نص- من المقطعات، وشعر أبي بكر الشبلي (ت334هـ) كله نتف ومقطعات وهو 73 نصاً في 159 بيتاً، و أطول نصوصه في سبعة أبيات.

وإذا استثنينا مطولة ابن الفارض (ت632هـ) في 762 بيتاً، فليس له في القصيد إلا القليل، وهما نصان في 151 بيتاً و103 أبيات، و17 نصاً تتراوح بين 10-62 بيتاً. أما بقية شعره وهو أكثر من ستين نصاً فمن المقطعات تتراوح بين البيت المفرد والنتف و 8 أبيات.

ومثل ذلك ما وصل من أشعار الزهاد والتصوف في القرن الثالث والثاني الهجريين كإبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري، وبشر بن الحارث ورابعة العدوية وذي النون المصري.

والخاصة الثانية: في أوزان قصائده وقوافيه، فقد جاءت قصائده العشر من البحور الطويلة الرحبة، خمسة منها من بحر الطويل ونصان من بحر الكامل وآخران من الخفيف، ونص من بحر الوافر، فليس له في البحور القصيرة والمجزوءة شعر، وهو

[1] المصدر نفسه، (المقدمة)، ص21.

كذلك يوافق ما كان عليه شعر أهل التصوف في القرن الرابع كالحلاج إذ جاءت أكثر قصائده من بحر الطويل والبسيط.

وقوافيه كانت كذلك من الذلل على الحروف المألوفة لأن أكثرها جاء على حرف اللام والنون والتاء، وليس فيها من الحروف النفر أو الوحش، وهو في ذلك مثل الحلاج الذي جاء أكثر شعره على حرف الراء والنون.

والخاصة الثالثة في شيوع الرمز والكناية وكثرة التهويل والمبالغة، وهو مما ظهر بصورة واضحة وجلية على شعر أهل التصوف في القرن الرابع، فلم نجد ظاهرة الغموض والرمز في شعر أهل التصوف في القرن الثاني والثالث إلا بحدود ضيقة، وذلك خلال معاني الحب والعشق الإلهي الذي عرف عند رابعة العدوية وذي النون المصري.

وظاهرة الإغراب في المصطلحات الصوفية حفلت بها دواوين التصوف في القرون المتأخرة، ولعل من أبرز المصطلحات التي شاعت لدى الجيلاني وقبله لدى الغزالي مصطلح الخمرة والسكر، فضلاً عن لغة الإدلال والفخر مما قرره ابن عربي.[1] وقد مضت الإشارة إلى المبالغة في المعاني والتهويل في جملة قصائده السابقة وخاصة تائيته التي عبر فيها عن اتساع علمه وقوة قدرته ومعرفته بكل شيء،وهي لغة تصل في تهويلها إلى الإحالة أو الكفر لولا ما يمنع من ذلك من عدم قبول فهم شعره باللغة المألوفة، مما لا يتفق مع سيرته ومكانته العلمية وشهادة القدماء له.

والخاصة الرابعة ما يلاحظ في قصائده كلها بختمها بذكر اسمه أو لقبه، وأحياناً يرد اسمه أو لقبه في مطاوي القصيدة –وليس في آخرها– في سياق الفخر والاعتداد بنفسه خاصة لقب البازي،[2] وقد نبه على هذه الخاصة محقق ديوانه ويذكر المحقق أيضاً إلحاق الجيلاني لقصائده بأبيات الترجيع. والمفهوم من هذه الملاحظة أنه كان يكرر بعض الأبيات لترجيعها في آخر القصيدة، والحقيقة أنني لم أقف على هذه الظاهرة في

---

[1] ابن عربي، أبو عبد الله محمد بن علي [ت 638هـ]، **الفتوحات المكية** (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج3، ص411.

[2] راجع في ديوانه القصيدتين الأولى والسابعة.

شعره بل لاحظت ختم قصائده بالصلاة على النبي كما ورد في قصيدته الخمرية (الغوثية) وطف بحاني، ورفعت إلى أعلى الورى.[1]

وقد تحقق في قصائده الشعرية عنصر التجربة الشعرية، إذ جاءت تعبيراً موافقاً لحياته العملية وحالته الصوفية. ونلمس بوضوح عنصر الوحدة العضوية (الموضوعية) في قصائده كلها، إذ كانت تدور في معانيه الذوقية الصوفية مع حسن تخلص في فروع معانيه الجزئية. ونجد بوضوح ظاهرة الصبغ البديعي دون تكلف أو إسراف، مما عرف به المتأخرون من شعراء الصوفية، وهو كذلك يقتبس من آي القرآن الكريم ويضمن قصائده هذه المعاني.

خاتمة

يلاحظ على شعره تكرار بعض المعاني، وخاصة المعاني الصوفية التي اقترنت به وبشعراء أهل التصوف سابقاً كالفخر والاعتداد بنفسه، ورفعة منزلته ومكانته عند الله تعالى، فقد ورد ذلك في أكثر قصائده[2]. وتكاد تتكرر معاني القصيدة في قصائده الأُخرى إلا ما تفرد به في قصيدة الأسماء الحسنى حيث يحصي تلك الأسماء متقرباً إلى الله بذكرها.

ولعل مما يستأنس ويستدل به على مكانة الجيلاني بين رجال عصره ومنزلته بين شعراء التصوف العناية الكبيرة بقصائده وظاهرة تخميسها، فقد خمس القصيدة الأولى: النابلسي (ت1143هـ)، وعلي بن يحيى، والإمام المنزلي وعبد الباقي العمري وخمّس القصيدة الثامنة المنزلي.

وأخيراً فقد تأثر شعراء التصوف في القرون اللاحقة بشعر الإمام الجيلاني خاصة ابن الفارض، الذي ضمّن تائيته أفكار الشيخ الجيلاني، وكذلك تأثر به أيضاً العفيف

---

[1] راجع **الديوان**، ص155، 146، 168.

[2] قارن قصيدته التائية المعروفة بقصيدة الوسيلة ص40، والشريفة ص29.

التلمساني وعبد الكريم الجيلي وابن عربي.[1]

وللمقارنة السريعة بين الجيلاني والغزالي يمكن أن نقرر أن خصائص مشتركة واضحة تظهر على شعريهما وخاصة في المقطعات والبحور والقوافي، وطبيعة موضوعات قصائدهما الصوفية ومعانيهما كظاهرة السكر والخمرة، لكن الملاحظ أن شعر الجيلاني أكثر تعقيداً وأكثر حفولاً بالرموز الصوفية والمصطلحات الخاصة من الفخر والإدلال وإطلاق الخيال على عنانه، وهذه الظاهرة نجدها بحدود ضيقة من شعر الغزالي.

وهكذا يمكن القول إن الصوفية بصفائها ووضوحها، وقيامها على الكتاب والسنة أظهر على الغزالي من الجيلاني.

[1] راجع **الديوان** (المقدمة)، ص22.